**الكره للروس أصوله وتاريخه.. أو لماذا رهاب الروس؟ (1-3)**

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [09/06/2024](https://assoual.com/archives/43886)

* [تقارير وتحقيقات](https://assoual.com/archives/category/reports-and-investigations), [قضايا وآراء](https://assoual.com/archives/category/issues-and-opinions)

**د. زياد منصور**

**الرُّهاب والفوبيا من الآخرين ليس أمرًا غير اعتيادي، فهو خلاصة عمل جبار تقوم به أدوات الدعاية والتحريض في حق الأعداء من الاثنيات والعرقيَّات والدِّيانات الأخرى، وهو ما يدأب عليه الجميع، ولم ولن يخلو تاريخ البشرية منه على الإطلاق.**

**لكن الرُّهاب ضد الروس هو رهاب من نوع آخر، وله أبعاده التاريخية الطويلة منذ انتصار الروس على المغول والتتار، ومنذ سحق الروس لجحافل نابليون، وطرد النازيين الغزاة من أراضي الاتحاد السوفياتي، وتحرير كامل أوربا الشرقية والنمسا، وهو اليوم يأخذ طابع أكثر من خطير في ظل ما يعتقده الغرب ويروج له على اعتبار ما يجري في أوكرانيا، هو ذلك الفعل “البربري الوحشي الشنيع” الذي يرتكبه الروس بحق أوكرانيا ونظامها الديموقراطي بين مزدوجين.**

**رُهاب الروس يصل ووصل إلى حد تأجيج المشاعر السلبية الحادة تجاه العرق الروسي، والدولة، والتاريخ، والثقافة، ولم يسلم منه كل من له علاقة ما بالعلم والأدب والفن، وهو يطال اليوم الطلاب والخريجين الذين أنهوا تعليمهم الجامعي في دول الاتحاد السوفياتي السابق، بل كل عنصر من عناصر العالم الروسي، الذي تطور تاريخيًا في دول الغرب الجماعي ويُستخدم اليوم كأداة للدعاية الغربية والحرب الإعلامية. في هذا السياق، يميز المؤلفون بين المستويات العادية والنظرية لرهاب الروس في الوعي الجماعي للغرب، ويؤكدون أن رهاب الروس أصبح اليوم أيديولوجية الغرب وسلاحه في الحرب الهجينة ضد كل ما هو روسي عرقًا ولغة وسحنة.**

**كمصادر لذهنية الرُّهاب ضدَّ الروس في الوعي الجماعي للغرب، يتم تمييز وتحليل التفكير الاستعماري، الذي يتشكل مع التنميط الدولتي الناشئ في دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وكذلك بالتزامن مع كراهية الأجانب، بناء على مجموعة من التصورات السلبية والمواقف والممارسات السلوكية تجاه الغرباء وكل الأجانب، وكل الظواهر التي تخالف قيم الثقافة الأوروبية والمجتمع الأوروبي.**

**لقد أصبح رهاب الروس امتدادًا وجزءًا من الكراهية ضد الأجانب العرقية منها والدينية، وهي لا تبتعد كثيرًا عن مفاهيم الإسلاموفوبيا، التي تغلغلت في العقلية الأوروبية. لقد تشكل رهاب الروس مع الحضارة الأوروبية كجزء جوهري ولا يتجزأ من الوعي الجماعي للأوروبيين. كانت نقطة البداية في تشكيل رهاب الروس هي معارضة العالم القديم والعالم البيزنطي.**

**كانت أولى مظاهر رهاب روسيا في زمننا الحالي، مباشرة بعد اندلاع العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا، حيث تجلى بالتخريب المنظم، حيث تمت مهاجمة العشرات من المباني والآثار والهياكل وغيرها من المرافق المرتبطة بروسيا. تجلى هذا في البداية في بلدان أوروبا الشرقية ثم الغربية. وهكذا، في لاتفيا، قام أشخاص مجهولون بسكب طلاء أحمر على نصب تذكاري لجنود الجيش السوفييتي الذين حرروا ريغا من القوات الألمانية. وفي بلغاريا، قاموا بتشويه النصب التذكاري للجندي السوفيتي المحرر في بلوفديف – وهو “أليوشا” الذي يبلغ ارتفاعه 11 مترًا في بولندا، لم يبدأ أفراد بفعل مثل هذه الارتكابات، بل تولى الأمر، ما يسمى بمعهد الذكرى الوطنية مهمة تصفية النصب التذكارية السوفياتية المتبقية في البلاد.**

**طال الأمر كذلك المجمَّع التِّذكاري للجنود المحررين السوفييت في متنزه تريبتو في برلين – وهو النصب التذكاري الأكثر شهرة للجنود المحررين السوفييت في أوروبا. لقد تم صبغ جميع المنحوتات والتماثيل في المجمع التذكاري بالطلاء الأحمر، وعلى النقش البارز الذي يصور الجنود السوفييت وهم يحملون رفيقهم الذي قتل في مواجهة النازية، كُتبت كلمة “فاشيين” وكذلك كتبت عبارات أخرى ذات محتوى معادٍ للروس باللغة الإنجليزية، بما في ذلك، الدعوة لقتل الشعب الروسي.**

**وفي بلدان أوروبا الغربية حيث لا توجد نصب تذكارية سوفياتية، أصبحت دور الثقافة الروسية، والمتاجر التي تحتوي على سلع روسية، ومباني الكنيسة الأرثوذوكسية الروسية أهدافًا لأعمال التخريب. ففي إيطاليا، ظهر الصليب المعقوف على جدار الكنيسة الأرثوذكسية؛ كما تعرضت إحدى أبرشيات ستراسبورغ لهجوم من قبل المخربين.**

**على هذا فإن هذا الانتشار الواسع لمظاهر رهاب الروس وشدة الكراهية لكل ما هو روسي في دول الغرب يظهر أن رهاب الروس ليس ظاهرة عابرة أو آنية، بل وُلد منذ زمن بعيد وله جذور اجتماعية وثقافية وعقائدية عميقة.**

**يتفق العديد من الباحثين على أن رهاب الروس يمثل موقفًا سلبيًا حادًا تجاه العرق الروسي، والدولة، والتاريخ، والثقافة، وأي عنصر من عناصر العالم الروسي، الذي تشكل تاريخيًا في دول الغرب ويُستخدم اليوم كأداة للدعاية الغربية والحرب الهجينة ضد روسيا. إن أيديولوجية رهاب الروس تظهر من خلال العناصر التالية: العنصر السياسي، الذي يتمثل في مواجهة نظامين جيوسياسيين – روسيا وغرب أوروبا؛ العنصر التاريخي، الذي يُعتبر صراعًا لا يمكن التوفيق فيه بين حضارتين: روسيا والغرب؛ والعنصر الروحي، الذي يتجسد في مواجهة القيم الأخلاقية والدينية.**

**لعلَّ أوَّل من استخدم مفهوم مصطلح “رهاب روسيا” كان فيودور إيفانوفيتش تيوتشيف الذي لم يكن شاعرًا رائعًا فحسب، بل كان أيضًا فيلسوف ومفكر عميق. أطلق تيوتشيف على جزء من المثقفين الروس الليبراليين اسم “كارهي” روسيا. وتناول قضايا رهاب الروس باعتباره كراهية لكل ما هو روسي وللروس أنفسهم من قبل الأوروبيين الغربيين عدد من الفلاسفة الروس مثل قسطنطين أكساكوف، نيقولاي بيرديائف، نيقولاي دانيليفسكي، نيقولاي إليين، إيفان كيريفسكي، فلاديمير سولوفيوف، ألكسي خومياكوف وغيرهم. وقد بحث بشكل أعمق رهاب الروس كظاهرة في الوعي الأوروبي الفيلسوف الروسي البارز اليوم نيقولاي دانيليفسكي في النصف الثاني من القرن التَّاسع عشر.**

**ولا شك في أنَّ تاريخ العلاقات بين روسيا والغرب طويل ومعقد، وهو مليء بالكثير من الصراعات وفترات من سوء الفهم، ولكن أيضاً كانت هناك مراحل من التوافق. لكن الفكرة الغربية حول كراهية روسيا وكل ما هو روسي قد نشأت في الغرب، بينما لا تمتلك الثقافة الروسية هذا النوع من الفوبيا تجاه الغرب (بل على العكس تماماً). فما هي أسباب ومصادر هذه الظاهرة في السياق الروحي والتاريخي؟**

**الأسباب التَّاريخيَّة:**

**وفقًا لرأي العالم الروسي سيرغي كارا-مورزا، فإن للروسوفوبيا تاريخًا طويلًا وجذورًا عميقة في الوعي الأوروبي، وهو يرى: “إنَّها فكرة أيديولوجية كبيرة، جزء من الأورو-مركزية – وهي العقيدة التي تشكل أساس النظرة الغربية للعالم، والتي تنص على أن هناك حضارة واحدة في العالم – الغرب (لا في المعنى الجغرافي، بل في المعنى الثقافي)”(1).يشهد تاريخ تشكيل الهوية والوعي الذاتي الغربي على أنه- بالفعل- في العصور القديمة، التي أصبحت أساس الحضارة الغربية الحديثة، يمكننا العثور في أعمال كبار الفلاسفة من مدرسة أثينا – أفلاطون وأرسطو – على أفكار تفوق الأثينيين على الشعوب الأخرى، الذين اعتبروهم برابرة. وظهرت فكرة التفوق بوضوح أيضًا في عصر الإمبراطورية الرومانية، حيث اعتبر مواطنوها دولتهم هي الأفضل، وبالتالي رأوا مهمتهم الرئيسة في فتح أراض جديدة ونشر القوة الرومانية. وانتشرت هذه النمطية أيضًا في مجال الحياة الروحية والدينية. وتُعبّر العبارات المستخدمة في هذا الخطاب عن الطريقة التي تعامل بها الرومان، ولاحقًا جميع الأوروبيين، مع البيزنطيين بوضوح شديد، حيث ذكر أن “بيزنطة كانت واحدة من تلك الظواهر التي من الأفضل ألا نتذكرها” (2). روس، التي اعتنقت المسيحية من بيزنطية ولاحقًا أصبحت وريثتها، تصبح الهدف الرئيس للهجمات من قبل الغرب. الخطاب الأوروبي، بالأساس، هو “أسلوب تفكير مبني على التمييز الأنطولوجي والإبستمولوجي بين “الشرق” و”الغرب.**

**وبهذه الطريقة، برزت فكرة التفوق التي أصبحت أساسية للحضارة الغربية- بشكل واضح- في تشكيل أيديولوجية الروسوفوبيا.**

**حدثت عملية التعارف الوثيق بين أوروبا وروسيا والتقاليد والثقافة الروسية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، على الرغم من أنه قبل ذلك بوقت طويل كان هناك اتصال بين العالمين. وهكذا، خلال الغزو المغولي التتاري، أدرك الأوروبيون اختلافهم عن الروس، معتبرينهم أجانب، برابرة. عندها نشأت فكرة آسيوية الروس، الغريبة تمامًا عن الأوروبيين. فالتحرر من نير المغول وتعزيز الدور الروسي السريع أسهم في تأجيج كراهية روسيا – لقد نشأت دولة ضخمة فجأة في الشرق. ثم بدأ يظهر في أوروبا شعور بأنها الحدود الشرقية للغرب، والتي يقع خلفها كيان غريب غامض. بدأت كراهية روسيا تتشكل كأسطورة أيديولوجية كبيرة” (3). لقد كانت فكرة الروس كآسيويين وبرابرة راسخة منذ مدَّة طويلة في العلاقة بين الدولة الروسية والغرب. في هذا السياق، على سبيل المثال، تم النظر إلى الحرب الليفونية 1558-1583. (في الواقع، أول مواجهة واسعة النطاق بين روسيا والغرب) وصورة القيصر إيفان الرابع الرهيب، التي تشكلت في الخطاب السياسي والتاريخي الغربي باعتبارها نموذجًا لهذه الكراهية. خلال سنوات الحرب الليفونية، ظهر عدد كبير من الكتيبات “فضائحية”، فيها الكثير من التشهير العلني والفظ، بالشعب الروسي وعاداته، ودولة موسكو وحكامها” الأمر الذي، في جوهره، حول روسيا في أذهان الغرب إلى مناهضة لأوروبا.**

**تصبح الاختلافات في النظام الروحي والديني أساس هذه العلاقة المتناقضة. معتنقو الفكر الكاثوليكي في أوروبا كانوا يعارضون أنفسهم لروسيا الأرثوذكسية. وشكلت الفكرة التي أعلنها الراهب فيلوثيوس في الثلاثينيات من القرن الخامس عشر، “موسكو – روما الثالثة”، تحديًا للغرب- وفي الوقت نفسه- سببًا إضافيًا لتشكيل مشاعر الروسوفوبيا، وهي في جوهرها وضعت أساس الوعي الوطني. باعتبار روسيا هي خليفة لبيزنطية، تبنى الروس أيضاً تقييمًا سلبيًّا للإمبراطورية الرومانية الشرقية. ومع ذلك، في الواقع، لم تكن لفكرة فيلوثيوس جانبًا سياسيًّا، ولم تدفع روسيا نحو أي توسع أو نحو التبشير الأرثوذكسي” (4).**

**في منتصف القرن السادس عشر، صدر في أوروبا كتاب، والذي حدد اتجاهًا معينًا فيما يتعلق بروسيا لسنوات عديدة. هذا الكتاب هو كتاب الدبلوماسي والرحالة النمساوي سيغيسموند فون هيربرشتاين، تحت عنوان: “مذكرات حول موسكوفي”. فقط في النصف الثاني من القرن السادس عشر. أعيد طبعه اثنتين وعشرين مرة، و “شكلت الأفكار الرئيسة لهذه “الملاحظات” أساس التصور الغربي لروسيا، ويمكن القول، خلقت صورتها في الثقافة الغربية” (5). إن الموقف المتغطرس والرفض والمهين تجاه دولة موسكو، كما هو موضح في الكتاب، حدد السياسة تجاه روسيا لعدة قرون قادمة. خلال هذه الفترة، طور الأوروبيون شعورًا بتفوق أسلوب الحياة الغربي، والذي ظهر بشكل أوضح خلال عصر الاكتشافات الجغرافية الكبرى وعملية الاستعمار اللاحقة. جرت محاولة لنقل علاقات “السيد والعبد”، و”المستعمرة-المدينة”، والتي كانت طبيعية جدًا بالنسبة لأوروبا في ذلك الوقت موازنة بدول “العالم الثالث”، إلى روسيا.**

**يلاحظ آلان بيزانسون (مؤرِّخ علم الاجتماع والفلسفة، متخصص في تاريخ روسيا والاتحاد السوفياتي) أن حدود العالم الغربي اليوم تتوافق مع حدود الكاثوليكية والفن القوطي: “يمكن تصور الحدود الشرقية لأوروبا بخط يربط آخر الكنائس القوطية… ومن ثم تبدأ فجأة أراضي فن البيزنطي” (6). غالبًا ما يُنظر إلى هذا الفن البيزنطي، وبالتالي، الشعوب التي تقطن الأراضي التي ينتشر فيها، على أنها بربرية وهمجية ولا تنتمي إلى الأويكومين (العالم) المتحضر. في هذا السياق، قام “العالم المتحضر” بمحاولات متكررة لفرض التعاليم الكاثوليكية في روسيا: هذا ما حدث مع اتحاد بريست في عام 1596، واحتلال موسكو في عام 1612، وموقف الأساقفة الكاثوليك خلال حرب القرم بين عامي 1853 و1856. ويمكن أيضًا إدراج السياسة النشطة الحديثة تجاه أوكرانيا والكنيسة الأونيوطية. (الكنيسة الكاثوليكية المحلية لليونانيين في الكومنولث البولندي الليتواني نتيجة لاتحاد بريست (1596). وفقًا لاتحاد بريست في عام 1596، خضع جزء من رجال الدين الأرثوذكس الغربيين لسلطة البابا.**

**كان المشروع الكاثوليكي، الذي تصور إنشاء إمبراطورية مسيحية عالمية، ينظر في البداية إلى المسيحية الشرقية وروسيا – الحامل الرئيس للنظرة الأرثوذكسية للعالم – باعتبارهما منشقين، ونوعًا من المشروع المسيحي البديل الذي يحتاج إلى إضعافه وتدميره.**

**وفقا للباحث الحديث غي ميتان، لعبت فرنسا دورا رئيسيا في تشكيل رهاب روسيا العالمي. وفي أعماق النخبة المثقفة الفرنسية ولدت فكرتين أساسيتين شكلتا أيديولوجية كراهية روسيا: “أسطورة التوسعية وأسطورة الاستبداد الآسيوي” (7).  كان الأسطورة الأولى مبنية على “الوصية المزيفة لبطرس الأول”، بينما كانت الثانية ناجمة عن مجريات التاريخ الروسي بأكمله. في فرنسا بالأخص نشأت الفكرة عن روسيا كأنها tabula rasa – (اللوحة البيضاء) وحقل للتجارب، هدفها “اللحاق بالغرب المتراجع وتجاوزه”. وكانت هذه الأفكار موجودة أيضًا في أعمال جوتفريد فيلهلم ليبنيز، الذي التقى ببطرس الأول، وفي أعمال فولتير.**

**شكل الانتصار النهائي والحاسم في الحرب الوطنية عام 1812، دافعًا جديدًا للهستيريا المناهضة لروسيا في المجتمع الغربي الأوروبي، حيث اتُهم الروس بالتوسعية الواضحة ومحاولة إنشاء إمبراطورية عالمية. ومع ذلك، يشير التاريخ إلى الطابع الحضاري لحروب الغرب الجماعية ضد روسيا، حيث كانت روسيا تُعتبر “برية” و “وحشية”. كانت الطبقة الحاكمة المحلية في روسيا- بلا شك- قلقة بشأن هذه العلاقة مع روسيا.**

**على هذا يمكن تحديد اثنتين من الأفكار الرئيسة التي شكلت أيديولوجية الروسوفوبيا، وهما: فكرة السياسة الاستعمارية لروسيا، والتي قد تكون أوروبا ضحيتها؛ والثانية، فكرة بربرية الروس، وعدم وجود ثقافة أو حضارة لديهم (بما في ذلك بسبب اعتناقهم النسخة الشرقية للمسيحية).**

**فيما يتعلق بالموقف الأول بشأن الطابع الاستعماري المسبق للسياسة الروسية البربرية، يجب أن نتذكر أن حدود روسيا – واحدة من أطول الحدود في العالم وأكثرها عرضة للهجوم – وبالتالي كانت المهمة الرئيسة لجميع حكام روسيا حماية الأراضي، بما في ذلك عن طريق إنشاء مساحة طبيعية موحدة لها -على الأقل- أي عائق طبيعي. على سبيل المثال، في أقصى شرق البلاد، كانت المحاولة هي الحفاظ على نفسها من خلال سواحل المحيط الهادئ. وكان التوسع نحو الشمال لا يتعلق بالهدف من دمج المناطق القطبية في إقليم الدولة أو مناطق التربة المتجمدة، بل كان يتعلق بمحاولة الحصول على حدود طبيعية تحمي الدولة من محاولات الغزو، التي كانت تتعرض لها روسيا بشكل كبير في تاريخها. يمكن قول الشيء نفسه عن الحدود الجنوبية والغربية.**

**إن فكرة بربرية الروس، التي لا تزال موضوعًا حيويًا حتى اليوم، لا تتحمل النقد أيضًا، حيث تعتبر الثقافة الروسية واحدة من القلائل التي لها طابع وأهمية عالمية. أسماء ألكسندر سيرغييفيتش بوشكين وميخائيل ليرمونتوف، وليف تولستوي وفيودور دوستويفسكي، وفاسيلي سوريكوف وإيفان شيشكين، وبيوتر تشايكوفسكي وغيرهما الكثير تشكل الصندوق الذهبي للثقافة والفن العالميين.(يتبع)**

**المراجع:**

1-  كارا مورزا، سيرغي، رهاب الغرب من روسيا // ملامح التحولات العالمية: السياسة والاقتصاد والقانون. 2015. العدد. 1. ص.ص. 6-14.

2-   Runciman S. La Chute de Constantinople, 1453. Paris, 2007. 348 p

3-  كارا مورزا، سيرغي، مرجع سابق، ص.8.

4-  شافاريفيتش أيغور. رهاب روسيا. موسكو، 2005.ص.5.

5-  ميتان، غي، الغرب وروسيا، حرب الألف عام، موسكو، 2016، 446 ص.

6-  المرجع نفسه، ص. 167.

7- بوشكين أ.س. إلى المفترين ضد روسيا // بوشكين أ.س. الأعمال المختارة / هيئة التحرير: جي.آي. بيلينكي، ب.أ. نيكولاييف. تحرير إل. سوبوليفا. م، 1990.ص.167.

# الكره للروس أصوله وتاريخه.. أو لماذا رهاب الروس؟ (2-3)

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [10/06/2024](https://assoual.com/archives/43892)

* [تقارير وتحقيقات](https://assoual.com/archives/category/reports-and-investigations), [قضايا وآراء](https://assoual.com/archives/category/issues-and-opinions)

**د. زياد منصور**

**السؤال هو: لماذا تعادي أوروبا روسيا؟**

**لقد طرح عالم الأحياء والفيلسوف المفكر الروسي نيقولاي دانيليفسكي هذا السؤال عام 1867 في عمله “روسيا وأوروبا”. وأشار إلى نفاق الساسة والمجتمع الغربيين، الذين شنوا حرب القرم ضد روسيا عام 1854، متهمين روسيا بانتهاك النظام الأوروبي، وعندما هاجمت بروسيا والنمسا بلاد الدنمارك الصغيرة عام 1864 لانتزاع مقاطعتين منها، لم ينطق أحد ببنس شفة في “أوروبا المستنيرة”، من عملية التعدي والنهب هذه! “ما هو الفرق؟” – يسأل دانيليفسكي. وستظل روسيا دائما غريبة عن الغرب.**

**“إن الشعور اللاواعي، والغريزة التاريخية، يجعل أوروبا تكره روسيا. أين هي النظرة الحيادية هنا؟ يبدو لأوروبا أن كل شيء روسي وسلافي يستحق الازدراء… لا يمكن للروسي في نظرهم أن يطالب بالكرامة الإنسانية إلا عندما يفقد مظهره الوطني بالفعل (8).**

**عندما تقرأ مقالات عن روسيا في الصحف الأوروبية، والتي تعبر عن آراء وعواطف الجزء المستنير من الجمهور؛ وأخيرا، عندما تتتبَّع موقف الحكومات الأوروبية تجاه روسيا. سترى أنه في جميع هذه المجالات المختلفة تسود روح العداء نفسها، وتتخذ، حسب الظروف، شكل عدم الثقة أو الحقد أو الكراهية أو الازدراء…**

**“يمكن العثور على تفسير مرضٍ لهذا الظلم السياسي وهذا العداء الاجتماعي فقط في أن أوروبا تعتبر روسيا والسلافية شيئًا غريبًا عنها، وليس فقط غريبًا بل معاديًا أيضًا ” (9).**

**أعطى دانيليفسكي إجابة على سؤاله: الفارق يكمن في أن روسيا والغرب هما حضارتان منفصلتان وغريبتان بشكل كبير عن بعضهما البعض. إن الفضل في هذا الاكتشاف العظيم في علم التاريخ ينتمي إلى الفلسفة الروسي – فكرة تعدد الحضارات البشرية وتعددية التطور التاريخي.**

**روسيا ليست حضارة!**

**تدريجياً، تم تبني فكرة تعدد خيارات التطور التاريخي في علم التاريخ الغربي، الذي رفض مساواة العالم كله بالمعايير الغربية. ومع ذلك، فإن هذا لم يقلل من رهاب الغرب من روسيا – فبينما يعترف الغرب بحق روسيا في التنمية المستقلة للصين والهند ودول الشرق الأوسط، لا يزال ينكر حق روسيا في أن تكوِّن نفسها.**

**ويجب أن يكون هذا مرتبطا بحقيقة أن روسيا لم تعتبر نفسها دائما مجرد واحدة من الحضارات، بل باعتبارها حارسة النظام العالمي المقدس، ووريثة الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية، روما الثالثة. وهذا الموقف للحضارة الروسية يتناقض مع خطط الغرب للاحتفاظ الأبدي بالهيمنة العالمية.**

**ليس – من قبيل المصادفة- أن الدافع الرئيس للدعاية المناهضة لروسيا في العالم هو “عدم أهلية ” روسيا ودونيتها مقارنة بالغرب، والتهديد الذي يُفترض أنه ينبعث منها تجاه العالم المتحضَّر. لذا: فإن أساس رهاب روسيا في الغرب هو رفض روسيا كحضارة مختلفة ومستقلة، ورفض روسيا باعتبارها تهديدًا لهيمنة الغرب على العالم.**

**بدأ تطور رهاب روسيا الأوروبي مع عصر تشكيل الدولة الوطنية الروسية، عندما رفضت موسكو الأرثوذكسية، في عهد الأمير الأكبر فاسيلي الثاني، مجمع فلورنسا والاتحاد مع الكاثوليكية الرومانية، وتحولت في عهد إيفان الثالث إلى إمبراطورية عظمى.**

**كانت أوروبا مذهولة في بداية حكم إيفان، حيث كانت تعرِف -بالكاد -عن وجود موسكوفيا، التي كانت محاطة بالتتار والليتوانيين، وذهلت بالظهور المفاجئ لإمبراطورية ضخمة على حدودها الشرقية، حتى أن السلطان بايزيد، الذي كانت ترتجف أوروبا أمامه، سمع- لأول مرة- الكلام الموسكوفي المتغطرس” (10)– كتب كارل ماركس، الذي كان لديه أيضًا رهاب روسيا.**

**خلال الفترة الأولى من العلاقات الغربية مع روسيا، سيطرت المواقف المتوازنة والمهتمة وحتى في بعض الأحيان على تقييمات الرحالة الغربيين. ومع ذلك، كانت هناك في أوروبا قوى مهتمة بشكل مباشر بانتشار رهاب روسيا – وكانت هذه الدول المجاورة لروسيا: الدولة البولندية الليتوانية والنظام الليفوني، الذي كان يمتلك الأراضي المسلوبة من روس في القرن الثالث عشر وكان يخشى المطالبة بإعادتها.**

**اختراع مصطلح “موسكوفي” “موسكولي”!**

**بعد أن استعادت روسيا سمولينسك إلى أراضيها عام 1514، بدأ الملك البولندي سيغيسموند الأول، بنشر مواد دعائية في أوروبا، ادَّعت أن بولندا تمثل الخط الدفاعي عن أوروبا، ويحميها من تهديد “البرابرة في موسكو والآسيويين والزنادقة”.**

**صاغ الدعاة البولنديون مصطلح “موسكوفي” في محاولة لإثبات أن روس لا علاقة لها بموسكو. لقد حاولوا إجبار المؤلفين والكتَّاب في الدول الأوروبية على إطلاق مصطلح “روسيا” فقط على غاليسيا التي كانت في حوزة وتحت سيطرة بولونيا، وسعوا بكل ما أتيوا من قوة لفرض مصطلح “موسكوفي” و”الموسكوفيين” على روسيا والشَّعب الرُّوسي (11).**

**أصبحت الهستيريا المعادية للروس في أوروبا نشطة بشكل خاص خلال عصر الحرب الليفونية تحت حكم إيفان الرهيب، عندما قامت روسيا بتصفية النظام الليفوني وهاجمت بولندا، وحررت الأراضي البيلاروسية. كان الكومنولث البولندي الليتواني والسويد والدنمارك في حالة حرب ضد روسيا في وقت واحد. لقد انتشرت في أوروبا “المنشورات والكراسات” المعادية للروس وبدأتن تنتشر بشكل نشط، والتي تصور “برابرة موسكو” هم يقتلون سكان ليفونيا، ويطلقون السهام على النساء المشنوقات والمتدليات من الأشجار، في وصف خيالي غير واقعي، فتحول المحتل إلى ساع للسلم، والمحرر للأرض إلى إبليس.**

**ولإنكار حقوق روسيا في ليفونيا، بدأت في الانتشار أطروحة مفادها أن الحكومة في روسيا هي حكومة “الطواغيت”، يرأسها “طاغية قاس”، القيصر -“إيفان الرهيب”- الذي يعذب رعاياه ورعايا الآخرين. ومع ذلك، لم يتم إظهار أي تعاطف مع رعايا الطاغية المزعوم نفسه، حيث تم الإعلان عن أنهم “عبيد” لا يستحقون الحرية والدولة.**

**خلال هذه الفترة، تشكلت الخطوط الرئيسية لرهاب روسيا الأوروبي – روسيا دولة ذات شعب همجي وحكومة وحشية، ليس لها الحق في متابعة سياساتها الخاصة في أوروبا ويجب تقييدها وكبح جماحها في آسيا بقوى الدول المجاورة، والتي يجب أن تساعدها أوروبا كلها (12).**

**إلا أن محاولات حل المسألة الروسية بالقوة، عبر التدخل المباشر في روسيا في عصر الاضطرابات، باءت بالفشل. في القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، لم تكن الروسوفوبيا في أوروبا تحمل طابعاً واضحاً. في الحرب مع روسيا من أجل أوكرانيا، لم تتمكن بولندا من جذب أوروبا الكاثوليكية إلى جانبها.**

**كما لم تنجح محاولات الدعاية التي قام بها كارل الثاني عشر خلال الحرب الشمالية في التوجه إلى “بربرية الموسكوفيين”، رغم أن الروسوفوبيا في السويد نفسها كانت في ذروتها في تلك الفترة.**

**“وصية بطرس الأكبر”**

**ارتبطت الزيادة الهائلة في رهاب روسيا في أوروبا بسياسات الحكومة الفرنسية في منتصف القرن الثامن عشر. “أنتم تعلمون بالطبع، وأكرر ذلك بكل وضوح، أن الهدف الوحيد لسياستي تجاه روسيا هو إبعادها قدر الإمكان عن الشؤون الأوروبية. جاء هذا في برقية من الملك لويس الخامس عشر إلى الوكيل الفرنسي في سانت بطرسبرغ: “كل ما يمكن أن يغرقها في الفوضى، في الظلام السابق، مفيد لي”.**

**مع بداية الثورة الفرنسية وحروب نابليون، ازدادت العداوة تجاه روسيا، الخصم الرئيسي للثورة الفرنسية والتوسع الإمبراطوري في أوروبا. بدت الرسوم الكاريكاتورية في الصحافة الإنجليزية، سخيفة بشكل خاص في ذلك الوقت إلى درجة التفاهة، والتي صورت ألكسندر سوفوروف، القائد العسكري الروسي، كعملاق ملتح وآكل لحوم البشر (13).**

**تم نشر كتابات مزورة في الصحافة العالمية لما سمي بـ “وصية بطرس الأكبر”، والتي كانت تعرض خطط الإمبراطور الروسي المزعومة للسيطرة على العالم عن طريق شن حروب مستمرة.**

**ويعزى ظهور هذا التزوير التاريخي حول الوصيَّة المزعومة في أوروبا إلى الجاسوس الفرنسي المتنكر شوفالييه دي إيون، الذي قام بمهام تجسس، بما في ذلك في البلاط الروسي في عهد إليزابيث بتروفنا. ومع ذلك، فإن النسخة النهائية من التزوير صاغها الأيديولوجي البولندي المعادي لروسيا، ميخائيل سوكولنيتسكي (الذي أطلق -لأول مرة -على روسيا مصطلح “إمبراطورية الظلام”) (14). وقد استفاد نابليون بونابرت من عملية تزوير سوكولنيتسكي هذه لتبرير غزو روسيا في عام 1812.**

**لقد خطط نابليون لإعادة دولة القياصرة الهائلة إلى آسيا من أجل جعل موسكو بوابة الحضارة الأوروبية، واستبدالها بمملكة بولندا القوية والمتجددة هناك كحرس متقدم”، هذا ما جاء في كتيبات الدعاية خلال غزو روسيا من قبل التحالف الأوروبي بقيادة بونابرت.**

**سلوك الفرنسيين في موسكو، ونهب وتدنيس الكنائس، والإرهاب ضد المدنيين، كانت كنتيجة مباشرة لادعاءات رجال الدعاية المعادية لروسيا في أوروبا. ومع ذلك، واجه الجيش الفرنسي هزيمة ساحقة في روسيا. الآن جاء دور رسامي الكاريكاتير الروس للسخرية من الفرنسيين الذين يأكلون ويتغذون من الغربان.**

**كان على الصحافة الفرنسية الآن أن تشرح أسباب دخول القوزاق إلى باريس، وكذلك حقيقة أنه تبيَّن أنَّ الجيش الروسي ليس بربريًّا بل كان منضبطًا في شوارع باريس. لقد عادت هذه الصحافة لتجتهد في مسألة هذا الدخول بالقول: أن هناك انضباط فولاذي في روسيا” يسمح للروس فقط بتحقيق الانتصارات، بالإضافة إلى أن الروس كانوا يقاتلون بطرق غير نزيهة — حيث كان “الجنرال شتاء” يقاتل إلى جانبهم (سوقت الدعاية نفسها لانتصار السوفيات في الحرب الوطنية العظمى عام 1945). (يتبع)**

**المراجع:**

8- دانيليفسكي نيقولاي، روسيا وأوروبا. سانت بطرسبورغ، 1871، ص. 13.

9- المرجع نفسه، ص. 3 (باللغة الروسية).

10-شافاريفيتش، إيغور روستوسلوفوفيتش، روسوفوبيا، إكسمو، 2005، ص.8.

11- إيليين، ألكسي نيقولايفيتش، الروسوفوبيا، 2018.

12- روسيا وبولندا: التغلب على الصور النمطية التاريخية. نهاية القرن الثامن عشر – بداية القرن العشرين. دليل لمعلمي التاريخ. الطبعة الثانية، موسكو: دار النشر “العالم كله”، 2019.

13- كارا مورزا، سيرغي، روسوفوبيا الغرب، ملامح التحولات العالمية: السياسة والاقتصاد والقانون. 8(1)، 2015، ص.ص. 6-14.

14- شوبينسكس، سيرغي نيقولايفيتش، الوصية المزورة لبطرس الأكبر، سانت بطرسبورغ، دار كروموليت، مطبغة غراتسيانسكي، 1877 .ص.12.

# الكره للروس أصوله وتاريخه.. أو لماذا رهاب الروس؟ (3-3)

* [د. زياد منصور](https://assoual.com/archives/author/ziadmansour)

* [11/06/2024](https://assoual.com/archives/43901)

* [تقارير وتحقيقات](https://assoual.com/archives/category/reports-and-investigations), [قضايا وآراء](https://assoual.com/archives/category/issues-and-opinions)

**د. زياد منصور**

**“روسيا عام 1839”**

**خلال فترة الهيمنة الروسية في أوروبا بعد الحرب الوطنية العظمى عام 1812، كانت الدعاية المعادية لروسيا بحاجة إلى تقويض سلطتها وهيبتها. وكان من أبرز منتجاتها الكتاب الشامل “روسيا عام 1839” للفرنسي الماركيز أستولف دي كوستين (أحد أشهر المثليين جنسياً في أوروبا في ذلك الوقت)، بعنوان “روسيا في عام 1839.**

**كتاب كوستين عبارة عن مزيج متناقض من التصريحات البغيضة المعادية للروس (“روسيا عبارة عن نظام عسكري وليس هيكل دولة”، “بغض النظر عن مدى اتساع هذه الإمبراطورية، فهي ليست أكثر من مجرد سجنًا، يحتفظ الإمبراطور بمفتاحه”). مع وصف حماسي لملاحظاته ومشاهداته المباشرة.**

**وصف كوستين موسكو والكرملين، على الشكل التالي: “هناك عدد هائل من قباب الكنائس، حادة مثل الإبر، وأبراج غريبة الشكل تلمع في الشمس فوق غيوم الغبار الطريق… كل قبة تتوج بصليب مصنوع بأدق الأعمال اليدوية، والصليب، سواء كان مذهبًا أو فضيًّا، مرتبط بسلاسل من نفس النوع مع بعضها البعض” (15).**

**حاول أن تتخيل هذه الصورة التي لا يمكن نقلها حتى بالألوان، ناهيك عن لغتنا الفقيرة! إن مسرحية الضوء التي تعكسها هذه المدينة المعلقة هي خيال حقيقي في وضح النهار، مما يجعل موسكو المدينة الوحيدة التي ليس لها مثيل في أوروبا… الكرملين يستحق الرحلة إلى موسكو!**

**إنه ليس قصرًا عاديًا، إنه مدينة بأكملها، يقال إنها تمتد على ميل في محيطها. وهذه المدينة، الجذر الذي نمت منه موسكو، هي الحدود بين أوروبا وآسيا. تحت حكم خلفاء جنكيز خان، اندفعت آسيا نحو أوروبا للمرة الأخيرة؛ وعند مغادرتها، ضربت الأرض بكعبها – ومن هنا نشأ الكرملين (16).**

**هل تعرف كيف هي جدران الكرملين؟ تستحضر كلمة “الجدران” فكرة وجود شيء عادي جدًا وغير مهم جدًا. أسوار الكرملين عبارة عن سلسلة جبال.. لو كان للعملاق المسمى الإمبراطورية الروسية قلب لقلت إن الكرملين هو قلب هذا الوحش”.**

**كل شيء تقريبًا في روسيا يثير اهتمام وإعجاب كوستين، فهو ينجذب بشكل خاص إلى ما لا يشبه أوروبا، والذي يتحدث عن حضارة روسية فريدة من نوعها. ومع ذلك، فإن الكاتب الفرنسي يغرق هذا الإعجاب في تصريحات متوترة وعدوانية معادية للروس. ومع ذلك، في القرن التاسع عشر، لم تكن عاصمة الروسوفوبيا هي باريس، بل لندن.**

**“كانت الروسوفوبيا الإنجليزية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعنصرية والاستعمار. فكرة “عبء البيض” التي يُزعم أنها تمنح الإنجليز حق الحكم في العالم، كانت تنشر الشعور بالتفوق العرقي ليس فقط على الشعوب الملونة في آسيا وأفريقيا، ولكن أيضًا على الروس البيض.**

**“كل روسي هو شخص لطيف… كآسيوي فهو ساحر. وفقط عندما تصر على عدم معاملة الروس باعتبارهم أكثر الشعوب الشرقية غربية، بل على العكس من ذلك، باعتبارهم الأكثر شرقية بين الشعوب الغربية، فإن ذلك يتحول إلى سوء فهم عرقي، وهو في الواقع ليس بالأمر السهل. قال الشاعر الإنجليزي الماسوني روديارد كيبلينغ: “يجب التعامل معها”.**

**لقد كان الأوليغارشي البريطاني سيسيل رودس، مؤسس “المائدة المستديرة”، الشريك المقرَّب والنصير الأشد لآراء كيبلينغ حول الروسوفوبيا، وكانت المائدة المستديرة المنظمة للنخب البريطانية الساعية إلى تعزيز سيطرة الإمبراطورية البريطانية على أساس المذهب الماسوني (17).**

**كانت إنجلترا تعتبر الإمبراطورية الروسية تهديدًا رئيسيًّا لقوتها الجيوسياسية. وشدد الإمبراطور نيكولاي الأول على أنه لا حدود لإجراءات لندن ضدنا وإذا توقف تنفيذ هذه المخططات، فهذا لا يرجع إلا إلى العجز عن إيذائنا”.**

**سيطر الخطاب المعادي للروس في الصحافة الإنجليزية. ترافق الازدراء والاستهجان الواضح لروسيا والروس، باستغلال صورة “الدب الروسي”، مع الخوف من زيادة قوته. كان لرئيس الوزراء البريطاني فيسكونت بالمرستون الفضل في العبارة التالية: “ما مدى صعوبة العيش عندما لا يكون أحد في حالة حرب مع روسيا”. وحتى لو كانت هذه المقولة أسطورية، فإن رسائل بالمرستون الأصلية تكشف خوفه من روسيا:**

**“عاجلا أم آجلا، ستصبح روسيا قوة قوية مثل الإمبراطورية الرومانية في العصور القديمة. ستكون قادرة على أن تصبح حاكمة آسيا (باستثناء الهند البريطانية) متى شاءت. “عندما … تقلص السكك الحديدية المسافات، ستصبح قوتها وسلطتها على البشرية هائلة، وتحويلاتها المالية ستتضخم، وقدرتها على نقل القوات لمسافات طويلة مذهلة”، وهو ما عبر عنه هذا السياسي الإنجليزي في رسالة له عام 1865 (18).**

**كانت إحدى سمات الدعاية المعادية لروسيا التي انتشرت في الدول الأنجلوسكسونية هي الاستخدام النشط للثوار من روسيا. “الأمة الذكية تقهر الأمة الغبية”. فبدءًا من ناشر مجلة الكولوكول “الجرس” ألكسندر غيرتسين، الذي كان يحظى بالدعم المالي من عائلة روتشيلد، بدأت الدعاية المعادية لروسيا الغربية في اختراق روسيا نفسها بشكل أكثر نشاطًا وبوتيرة متزايدة. أصبحت الروسوفوبيا جزءًا لا يتجزأ من آراء الإنسان “التقدمي”، الذي يعارض الأرثوذكسية والحكم الذاتي والهوية الوطنية.**

**كتب الشاعر الروسي فيودور إيفانوفيتش تيوتشيف إلى ابنته آنَّا في عام 1867، أي بعد إصلاحات القيصر ألكسندر الثاني:”سيكون من الممكن تقديم تحليل لظاهرة حديثة أصبحت مرَضَية بشكل متزايد. هذا هو رهاب روسيا لدى بعض أفراد الشعب الروسي – بالمناسبة، هم أشخاص لهم مكانتهم “.لقد اعتادوا أن يخبرونا، وقد صدقوا ذلك حقًا، أنهم في روسيا يكرهون انعدام وكراهية للحقوق، وانعدام لحرية الصحافة، وما إلى ذلك، لأنهم على وجه التحديد يحبون أوروبا كثيرًا، مما لا شك فيه أن لديها كل شيء التي لا تملكها روسيا. ماذا نرى الآن؟**

**وفي معرض إدانته للغربيين الليبراليين، كتب تيوتشيف السطور التالية: “مهما انحنيتم أمامها أيها السادة / فلن تنالوا الاعتراف من أوروبا: / ستظلون دائمًا في نظرها / لستم خدمًا للتنوير، بل عبيدًا” (19).**

**أصبحت صورة الخضوع أمام “أوروبا”، والخنوع أمامها، أساسية في توصيف أنصار التغريب الليبراليين من قبل الوطنيين الروس وعشاق السلافوفيل (محبو السلافية). لم يكن -من قبيل الصدفة- أن يضع فيودور دوستويفسكي عبارة مشهورة تعبر عن العداء لروسيا إلا فيما نطق به فم خادم يدعى سميردياكوف:”سيكون من الجيد أن يغزونا نفس هؤلاء الفرنسيين في ذلك الوقت: فالأمة الذكية ستهزم دولة غبية جدًا، يا سيدي، وتضمها إلى نفسها. بل سيكون هناك أنظمة وترتيبات مختلفة تماما، يا سيدي” (20) .**

**كان يُنظر إلى رهاب روسيا الداخلي لدى المثقفين الليبراليين على وجه التحديد على أنه أحد أعراض افتقار الوعي.**

**“جمعية أصدقاء الحرية الروسية”**

**كان أحد العناصر المهمة في الدعاية المناهضة لروسيا هو التغير في الرأي العام في الولايات المتحدة تجاه رهاب روسيا. كان الأمريكيون ودودين تجاه روسيا، التي دعمت الولايات المتحدة خلال حرب الاستقلال والحرب الأهلية. ومع ذلك، منذ عام 1887، بدأت أنشطة الصحفي الأمريكي جورج كينان، الذي بدأ في الكشف عن “الظروف الوحشية للمنفى القيصري” التي أبعد إليه الثوار.**

**ووصف الممثل الروسي في الولايات المتحدة، بوتكين، تحريض كينان المعادي للروس على النحو التالي: “إنهم يبيضون التاريخ، هؤلاء المنافقين” -بل تم تفكيك تمثال جيفرسون في الولايات المتحدة الأمريكية.**

**وقال إنه جاء من سيبيريا وأحضر معه مواد قيمة لإثبات وحشية السلطات الروسية وفشل نظام الدولة في روسيا. بدأ كينان بنشر مقالات مثيرة في الصحف والمجلات عن حياة المدانين في سيبيريا. ثم بدأ بالسفر في كل أمريكا وإلقاء المحاضرات. لقد صعد على خشبة المسرح مكبلاً بالأغلال، وهو يرتدي زيَّ سجين، وأظهر فظائع مختلفة باستخدام فانوس سحري، ونسج هراءً لا يصدق حول روسيا» (21).**

**اكتشف الباحثون المعاصرون الموضوعيون وجود علاقة مالية مباشرة بين كينان والأوليغارشية في نيويورك الذين كرهوا روسيا، ولا سيما يعقوب شيف، الراعي المستقبلي لحرب اليابان ضد روسيا. بمبادرة من كينان في 1890-1891. في لندن ونيويورك، نشأت “جمعيات أصدقاء الحرية الروسية”، وأخذت على عاتقها تنسيق الدعاية المناهضة لروسيا في الغرب.**

**الدور الأكثر أهمية فيها لعبه سيرجي ستيبنياك كرافشينسكي، الإرهابي الذي فر إلى لندن بعد مقتل رئيس فيلق الدرك. ومن الدعاية، انتقلت الجمعية في النهاية إلى الدعم المباشر للإرهاب ضد روسيا خلال أحداث 1905-1907 (22).**

**القضاء على النفوذ الآسيوي:**

**أتاحت ثورة أكتوبر عام 1917 تعزيز الدعاية المعادية لروسيا، مضيفة إليها استغلال مخاوف الغربيين من الغزو البلشفي وأنشطة الكومنترن. واستخدم موت الإمبراطورية الروسية للإعلان عن دونية الروس، وعدم قدرتهم على الحكم الذاتي، وبالتالي هناك حاجة إلى الغزو الخارجي لروسيا. “الروح الروسية على ما يبدو غير ملائمة للعمل الإبداعي الإنشائي. تقريبًا كل ما خلقته روسيا في الشؤون الخارجية والداخلية يعود للألمان الذين كانوا يخدمون في الخدمة الروسية أو الألمان البلطيقيين”، وفقًا لكتاب مدرسي نُشر في ألمانيا عام 1925م.**

**الغرب يستبعد روسيا من الذاكرة التاريخية للانتصار على الفاشية، وتقريبا نفس الكلمة بكلمة كررها النازي الفوهرر في مقالته “كفاحي” (23).**

**كان الخوف من روسيا أحد أهم مكونات دعاية هتلر، وقد تطور على نطاق واسع بشكل خاص مع الهجوم الألماني على الاتحاد السوفييتي. أُعلن علنًا أن الغرض من الحرب هو تدمير الدولة (وليس فقط الدولة السوفيتية، ولكن عمومًا أي دولة في روسيا)، والثقافة الروسية، والإبادة الجماعية للشعب الروسي، حيث كان الهدف الرئيسي للحملة هو التدمير الكامل لسلطة الدولة والقضاء على التأثير الآسيوي على الثقافة الأوروبية… لا توجد قيم تاريخية أو فنية مهمة في الشرق.**

**للدعاية بين الجنود الألمان، تم نشر كتيبات تحتوي على صور للسجناء السوفييت تحت الاسم المميز “سوبمان”. “يرى الروس أن الألماني كائن أعلى”، هذا ما قاله وزير الخارجية الألماني هربرت باكي للمحتلين المستقبليين فيحزيران 1941.**

**“الموسكوبية”**

**خلال الحرب الباردة، بلغت الدعاية المعادية للروس أعلى مستوياتها من الشدة والتعقيد. وقد صاغ مبادئها جورج فروست كينان، ابن شقيق أحد إيديولوجي رهاب روسيا الأمريكية. في “برقية طويلة” إلى وزارة الخارجية الأمريكية، والتي صاغت المبادئ الأيديولوجية للحرب الباردة. ودعا كينان الغرب إلى “احتواء” روسيا من موقع القوة. وأصبح الآن جزء كبير من الدعاية الغربية المعادية لروسيا موجهة نحو الاتحاد السوفييتي ذاته، وذلك لخلق مشاعر مؤيدة للغرب بين أهل الفكر السوفييتي، وإثارة النزعة القومية في جمهوريات الاتحاد.**

**وفي عام 1959، أقر الكونجرس الأمريكي “قانون الشعوب المستعبدة”، الذي تم بموجبه تكليف الإدارة الأمريكية بدعم “النضال من أجل حرية” الشعوب “المستعبدة من قبل السياسات الإمبريالية لروسيا”، ومن بين هذه الشعوب تم ذكر ليتوانيا وأوكرانيا، وكازاخستان وإدل-أورال الخياليتان، وحتى التيبت.**

**وفي هذه الفترة، بدأت الروسوفوبيا تنتشر بنشاط في الاتحاد السوفيتي بمساعدة إذاعات غربية للاستهلاك الداخلي، متماشية إلى حد كبير مع “التصريحات العنصرية” القديمة قبل الثورة والروسوفوبيا الرسمية في السنوات الأولى للسلطة السوفيتية.**

**خلال هذه الفترة، وبمساعدة أصوات الإذاعة الغربية، بدأت تنتشر الروسوفوبيا  تنتشر بنشاط في الاتحاد السوفييتي نفسه، والتي خلفت في كثير من النواحي الكراهية الرسمية للروس في السنوات الأولى من الحكم السوفييتي..**

**وقد وصف الأكاديمي إيغور تشافاريفيتش هذه الظاهرة في عمله “رهاب روسيا” وعلى وجه الخصوص، قدم مجموعة مختارة من التصريحات النموذجية المعادية للروس: “لقد جلبت روسيا إلى العالم من الشر أكثر من أي دولة أخرى”؛ “أوجه القصور البيزنطية والتترية”؛ “رائحة “الاختيار” المسياني، وفخر “الفكرة الروسية” المستمر منذ قرون؛ “البلد الذي كان على مر القرون يتضخم وينتشر مثل العجين الحامض”؛ ” من الطبيعي والعادل أن يكون الروس أكثر دناءة في هذا البلد من الجميع”(24).**

**إن تركيز الروسوفوبيين على فكرة “عدم الكفاءة الروسية” مرتبط بحقيقة أن أهم دافع للروسوفوبيا هو إنكار حقيقة أن الحضارة الروسية فريدة من نوعها ولا تشكل جزءًا من أقسام الحضارة الغربية.**

**لم تؤد نهاية القوة الشيوعية في روسيا إلى تقليص الدعاية المعادية لروسيا في الغرب. أضافت هذه الدعاية لهجة ازدراء إضافية. كان يُنظر إلى روسيا على أنها “خاسرة” في الحرب الباردة بل تمت الدعوة لإنهائها.**

**أصبح الخطاب المعادي للروس عدوانيًا بشكل خاص بعد إعادة توحيد شبه جزيرة القرم مع روسيا في عام 2014 وفرض العقوبات الغربية. وأعلن الرئيس الأميركي باراك أوباما -بكل فخر- أن الاقتصاد الروسي تمزق إلى أشلاء بسبب العقوبات. ووصف السيناتور الجمهوري جون ماكاين، روسيا بأنها “محطة وقود تتظاهر بأنها دولة.**

**في عام 2022، صمدت هذه أمام أشد العقوبات الغربية. ومع ذلك، لا تزال الدعاية المعادية للروس مستمرة. هناك أخبار كاذبة عن “جرائم حرب روسية” ودعوات لـ “إلغاء” الثقافة الروسية.**

**في ربيع عام 2014، امتلأت مدينة البندقية بملصقات كتب عليها: “ساعد في محاربة الإمبراطورية الروسية عن طريق إلغاء الثقافة”، “لقد عززت الثقافة الروسية التفوق على الأمم الأخرى لأجيال”، “توقف عن الانبهار بثقافتهم: خلف كل دوستويفسكي هناك وابل من الصواريخ”، “ارفضوا التمويل والدعم الذي قدمتموه للفنانين والموسيقيين الروس. لا ينبغي أن يكون هناك مجال لعملهم. لا ينبغي للصحافة أن تذكرهم”، “ادعموا ثقافة أوكرانيا – دولة أوروبية حرة حقًا”.**

**لقد كانت كراهية روسيا ظاهرة ثابتة في تاريخ العالم لعدة قرون. إنها تقوم على الخوف من عظمة روسيا وقوتها والعداء لحقيقة أنها تمثل حضارة منفصلة لا تعيش وتخلق بأمر من الغرب.**

**“أحد أسباب رهاب روسيا منذ قرون، والغضب غير المقنع لهذه النخب الغربية تجاه روسيا هو على وجه التحديد أنها لم تسمح  لنفسها  بأن تتعرض للسرقة خلال فترة الفتوحات الاستعمارية، وأجبرت الأوروبيين على ممارسة التجارة من أجل المنفعة المتبادلة. وقد تم تحقيق ذلك من خلال إنشاء دولة مركزية قوية في روسيا، طورت وعززت نفسها على القيم الأخلاقية العظيمة… وعلى الثقافة الروسية والكلمة الروسية المفتوحة للجميع”. هذا ما أكد عليه فلاديمير بوتين في خطابه في 30 أيلول 2022، المخصص لانضمام جمهوريات دونيتسك ولوغانسك ومنطقتي خاركوف وزابوروجيه إلى الاتحاد الروسي.**

**لا يمكن لكراهية روسيا الغربية أن تسبب ضرراً كبيراً لروسيا، باستثناء تلك الحالات التي نجح فيها الغرب في تصدير كراهية روسيا بنجاح إلى روسيا نفسها، مما أدى إلى تقويض قيمنا وتدمير وطننا من الداخل. هذا هو أخطر أنواع رهاب روسيا، الذي يجب مقاومته أولاً.**

**المراجع:**

**15-أستولف دي كوستين روسيا في عام 1839 في مجلدين، تحرير وإشراف ميشلينا.ف، وأوسبوفات .أ ، موسكوـ، دار ساباشنيكوف للنشر، سجلات الماضي، 1996.—528 ص.**

**16- المصدر نفسه، المجلد 1، ص.34.**

**17-لوكاشيفيتش، ب.أ. أسباب كراهية البريطانيين للشعوب السلافية. مطبعة ميلوفسكي، 1877.**

**18- إترونينا جي في، شونيكو أ. “الحاكم بالمرستون”: صورة سياسي إنجليزي في روسيا في القرن التاسع عشر. // حوار مع الوقت. 2011. العدد 37. ص 283-290. https://roii.ru/r/1/37.16**

**19- تارتاسوف، بوريس نيقولايفيتش، مشكلة رهاب روسيا في ف. تأريخ تيوتشيف، مجلة الشعرية التاريخية، م.18، ع 2، 2020.**

**20-المرجع نفسه.**

**21- تشارني س. حول رهاب روسيا الصريح والخيالي / / دورة “مكافحة كراهية الأجانب والتمييز العرقي” الجزء 1. موسكو: مجموعة موسكو هلسنكي، 2005. ص.ص 169-181.**

**22-خولوموغوروف، إيغور، الروسوفوبيا، تاريخ موجزموقع ريغنوم .رو(https://regnum.ru/) ، 2023 . (باللغة الروسية)**

**23.المرجع نفسه.**

**24- شافاريفيتش، إيغور روستوسلوفوفيتش، روسوفوبيا، إكسمو، 2005، ص.8.**